وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات **قسم اللغة والأدب العربي**

ملخص لأطروحة دكتوراه:

الشخصية والهوية في روايتي
Le quai aux fleurs ne répond plus
de Malek Haddad
و ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي
دراسة سردية

تخصص: الخطاب السّردي المعاصر

إعداد الطالب: **إشراف الدكتور:**

قطاف الحاج بسرة شهاب

السنة الجامعية: 2021/2020م

الملخص:

أصبحت الرواية في عصرنا الجنس الأدبي الأكثر انتشارا و مقروئية،فهي الأقوى تعبيرا وتصويرا لأنها تهتم بالدرجة الأولى بالإنسان وقضاياه،وأحواله داخل المجتمع، فتصف أحاسيسه،وترسم أماله،وتغازل كيانه ووجدانه، عبر مجموعة من المكونات، التي تسهم في تشكيل هذا الصرح الجميل بداية من الزمانوالمكان والحدث والشخصية،هذه الأخيرة التي يقوم عليها العمل الروائي تحديدا بشكل مكثف،لذلك احتلت مكانا مرموقا،حيث تمتد منها وإليها جميع العناصر الفنية في الرواية،فهي العمود الفقري لكل قصة أو رواية، لذلك ذهب نقاد كثر إلىالقول بأن الرواية هي «فن الشخصية » فنجاح أي روائي مرتبط بمدى تمكنه من نحت شخصياته وقدرته على خلقها وبث الروح فيها،وتطعيمها بمختلف الأفكاروالنوايا الخبيثة أو الحسنة حسب توجه الكاتب،وحاجياته.

هذه الشخصيات لايكون اختيارها اعتباطيا،فصفاتها النفسية وخصائصها الاجتماعية، هي ذات بعد إيديولوجي، فإذا كان فعل الكتابة فعلا غير بريء، فإنه في ميدان الرواية يستخدم الشخصيات كأدوات حاملة لأفكاروإيديولوجيا يريد الكاتب إيصالهاإلى المتلقي، دون أن يشعر أحيانا،وربما يطمع هذا الفعل حتى في ضرب المتلقي في أساسه وكيانه من خلال هويته المتكونة أساسا من الجنس و الأرض والعرق والدين.

من هنا يتبدى لنا جليا أنّ هناك ترابطا وثيقا بين الشخصيات الروائية،وخطاب الهوية ككل فلا يمكن لهذه الأخيرةأنتظهرإلا من وراء قناع هو الشخصية،فألقى بي السبيل في أحضان الأدب الجزائري وبالضبط في الرواية الجزائرية هاته الأخيرة التي كانت بالأمس فتية وما لبثت إلا القليل حتى صارت ناضجة واعية ومعالجة لمختلف

القضايا التي تميز الساحة واقصد بذلك المجتمع بكل أطيافه، مهوى الصراع ومولد الفضيلة والرذيلة وموطن المتناقضات في كل أبعادها.

فلم يكن للرواية الجزائرية أن تحظى بكل هذه القدرة والاستيعاب لو لمتلجأ إلى وسيلة التعايش والتناسل من بعضها البعض. فالروائيين الجزائريين، رغم تعدد مشاربهم واختلاف نظراتهم، إلاأنهماستفادوا بالقدر الكافي من بعضهم البعض، فكانت كل رواية بداية لرواية أخرى سواء صرح أو لم يصرح السابق للاحق بذلك،فلا ينكر عاقل تأثير الرموز الكبيرة للرواية الجزائريةأمثال الطاهر وطار و عبد الحميد بن هدوقةأو من يكتب باللغة الفرنسية أمثال مولود فرعون، مالك حداد،كاتب ياسين،بالجيل الذي يليهم وما أكثرهم حين تعد. فجمعنا شتات بحثنا الذي يدور حول ثلاثة أركان : الشخصية، الهوية،الرواية الجزائرية، بعنوان هو" **الشخصية والهوية** " وبالتالي اخترت روايتين جزائريتين بلغتين مختلفتين للتطبيق عليهماهما:

«Le quai aux fleurs ne répond plus»deMalekHaddad

و ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي.

من خلال دراسة هذين العملين الأدبيين نحاول أن نضع اليد على مسألة غاية في الأهمية، فالأدب–كما نعلم–ماهو إلا انعكاس حقيقي لصرخات المجتمع وتطلعاته و آماله خلال حقبة معين، ومن خلال الأدب يمكن الكشف عن حقيقة المجتمع وخصوصيته.

فكان لابد من ايلاء أهمية تليق بعنصر"الهوية" الذي يُعتبر النواة الأساسية لكل المجتمعات، وذلك بمراعاة انعكاس هذا المفهوم داخل الأدب وخصوصا داخل الرواية التي يعتبرها الكثير من النقاد تمثل الحياة.

وأكثر ما يتجلى ويلتصق عنصر الهوية–داخل الرواية– بالشخصية، هذا المكوِّن الذي هو أساس عملية البناء السردي، وهو كائن يخلقه الروائي ليخدم مذهبه أوإيديولوجيته،أو ليبوح من خلاله بكل ما يحمل صدره من أحزان أثقلت كاهله،ولم يستطع أن يعبرعنها بحكم طبيعة مجتمعه، فبالتالي تعتبر الشخصية بوابة ومدخل لكشف مذهب هذا الروائي وتوجهه، ومدخل أيضا لفهم النص الروائي ككل،فالمفتاح الحقيقي لولوج أي عمل روائي هوالانطلاق من وإلى الشخصية.

واختيارنا للتطبيق على روايتين جزائريتين بلغتين مختلفتين هما:ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي،و رصيف الأزهار لا يجيب لمالك حداد،إنما وقع لعدة أسباب من بينها: أن كِلا الروائيين يعالج قضية الهوية الجزائرية ويلصقها مباشرة بعدد من الشخصيات التي تتناطح أوتتعاشق فيما بينها داخل النص الروائي،بالإضافة إلى أنّ الروايتين اعتمدتا على الثورة الجزائرية كمادة خام عالجا من خلالها قضية الأنا والآخر، كذلك كون مالك حداد جزائري من عائلة لها تاريخها المعروف في الشرق الجزائري إلا أن كتاباته جاءت بالفرنسية فما هو موقفه من اللغة العربية التي هي الضلع الثالث في تشكيل الهوية الوطنية،ثم عن مسألة تأثر أحلام مستغانمي بمالك حداد التي تبدو وكأنها طافحة للعيان،فهي بحد ذاتها تعبر عن ذلك في الكثير من المواقف حتى داخل روايتها ذاكرة الجسد فما حدود هذا التأثر؟ كما أن الشخصية البطلة في ذاكرة الجسد ما هي إلا امتداد لشخصية خالد نفسها في رصيف الأزهارلا يجيب، وهذا أمر آخر دفعنالمحاولة التعرف على كيفية بناء الشخصية لدى كل منهما،وكيف وظّف مالك حداد ومن ثم أحلام مستغانمي مذهبيهما ونظرتهما للحياة عبر الشخصية الروائية.

منطلقا من إشكالية تتمثل في جملة من التساؤلات:

- كيف يتم بناء الشخصية الروائية؟ وهل يمكن توظيف شخصية واحدة في عملين روائيين؟إلى أي مدى تتمكن الشخصية من استيعاب الخلفيات الثقافية لكاتب ما؟
- كيف تعامل الروائي الجزائري مع مسألة الهوية؟
- هل يختلف كاتب الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية عن كاتب الرواية الجزائرية باللغة العربية في نظرته لمقومات الهوية؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار اللغة مجرد وسيلة للتعبير لا يمكنها التأثير على الأديب؟

ولدراسةالشخصية داخل الرواية،بالخصوص أنّها تكتسب العديد من المدلولات التي تنطلق من الاسم والصفات الخارجية والداخلية،اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد الى الوصف الدقيق لأي ظاهرة خصوصا الشخصية، فالانطلاق من الوصف يساعدنا على تحليل هذه الشخصية ومعرفة مقوماتها وخلفياتها وايديولوجياتها، للتوصل إلى النص الغائب والذي يشتغل خلف قناع الشخصية التي تبدي براءتها و سذاجتها لمن يبصرها للوهلة الأولى، غير أنها تضمر مالا يمكن أن يسمع به قارئ أو خطر على بال ناقد ما لم يُمحص ويدقق في تركيبها وبنائها،ولا يكون ذلك إلا بإنشاء علاقة تواصلية مع هذه الكائنات الهشة والصلبة.

فتوقفنا عند سيميائية الشخصية وحللنا وظائفها داخل المنجز السردي في الرواية، بينما التركيز كان على الشخصيات الرئيسية وارتباطها بالشخصيات الأخرى، كما حاولنا أن نطبق النموذج العاملي كتقنية من خلال العوامل السردية بعناصرها

الأربعة لمعرفة حقيقة موضوع الروايتين، وحوافز تحريك الشخصيات داخلهما، وأخيرا تحديد العوامل وتمييز الأدوار ومن يقوم بها في نص الروايتين.

مطبقين نظرية غريماس التي استمدت أصولها المعرفية من علم الدلالة: «**ويعود تأسيس هذا العلم إلى مايزيد عن عقدين ردا على الألسنيين الذين يركزون في دراساتهم اللغوية على الدال مقصين المدلول من مجال اهتمامهم باعتباره غير قابل للتقسيم وفق الوحدات المميزة**»[1].

وقد عمل غريماس على« **توسيع الإطار التصنيفي للمفاهيم النظرية،فوضع نموذجا عاما يضبط تحليل السرد ويصلح للتطبيق على كل أنماط الخطاب السردي**»[2]ذلك أن السرد يبنى على التراوح بين الاستقرار والحركة والثبات والتحول. وقد بيّن "غريماس" «**أن الشخصية تتضح معاملها و تكتمل أوصافها وتحدد هويتها عند آخر كلمة في الرواية "في بداية الخطاب لا يتعدى هوية 'البطل' التسمية ثم يكتسب تدريجيا أوصافا ووظائف حتىإذا شارف الخطاب النهاية استوت الشخصية محددة الهوية واضحة المعالم**[3]»

وبالتالي قدّم غريماس مفهوم النموذج العاملي الذي يمكن تناوله باعتبارين:

-**باعتباره نسق:** فقد جمع غريماس وظائف بروب الإحدى والثلاثين في ثلاثة ثنائيات، تشكل ستة عوامل هي المرسل والمرسل إليه،الفاعل والموضوع،المساعد والمعارض، وهذه العوامل تترابط على مستوى ثلاثة محاور هي محور الرغبة ومحور الصراع ومحور التواصل

[1] محمد ناصر العجيمي، في الخطاب السردي، الدار العربية الكتاب، ط1، 1993، ص 22.

[2]جميل قيسمون، الشخصية في القصة، مرجع سابق، ص 203.

[3]محمد الناصر العجيمي: في الخطاب السردي –مرجع سابق ،ص: 39

- **النموذج العاملي باعتباره إجراء:**

حيث يؤكد سعيد بنكراد أنّ غريماس « **طرح الخطاطة السردية باعتبارها عنصرا منظما ومتحكما في التحولات فيما يبدو من خلال قراءة بسيطة لنص سردي وكأنه تنافر وتداخل بين مجموعة من العناصر يشكل في مستوى آخر بنية بالغة الانسجام والتماسك ومن هنا فإن الخطاطة السردية تشكل نموذجا لكل التحولات الواقعة بشلل تجريدي في مستوى يتسم بالمفهومية»**[4]

وبمقارنة الشخصية في كل من رصيف الأزهار لا يجيب وذاكرة الجسد لاحظنا اشتراك الشخصية البطلة بنفس الاسم وهو خالد بن طوبال، وقد جاء في بداية رواية ذاكرة الجسد إهداء لمالك حداد الذي لم يستطع أن يكتب بالحرف العربي والذي اختار أن تكون نهاية بطل روايته هي الانتحار، فوظفت أحلام مستغانمي نفس اسم الشخصية وكأنها تحاول وهب حياة جديدة لهذه الشخصية الورقية التي تمثل بشكل كبير شخصية مالك حداد نفسه، الذي ارتكزت أحداث رواية رصيف الأزهار عليهكما أنّ هذه الشخصية مثلت مرجعية لماضي قسنطينة وتاريخها

فبالرغم من اختلاف الصفات المادية للشخصية البطلة –خالد بن طوبال– بين العملين رصيف الأزهار وذاكرة الجسد حيث كان مقطوع الذراعبسبب معركة بين الثوار الجزائريين والفرنسيين، أمّا في رواية رصيف الأزهار فقد كانت تتميز بخصوصية قدمها مالك حداد بملامح عربية وبتفاصيل جزائرية.

[4] غريماس، السيميائيات السردية،تر: سعيد بنكراد،سلسة ملفات، منشورات إتحاد كتاب المغرب (طرائق تحليل السرد، دراسات)1992،ص:33.

إلاّ أننا نجد أنّ شخصية خالد بن طوبال في رصيف الأزهار كانت حقلا للمتناقضات فمرة نجد أن هذه الشخصية هي شخصية متفائلة ومرات تكون العكس خصوصا مع النهاية التي اختارها له مالك حداد المتمثلة في انتحاره عقب سماعه خبر خيانة زوجته له، بينما نجد شخصية خالد في ذاكرة الجسد أكثر تفاؤلا وطموحا رغم الحالة النفسية التي ولدتها إعاقته، غير أنّ بناء وتقديم الشخصية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية والمكتوبة بالفرنسية بنفس المعايير، وتشتركان في الكثير من القضايا التي من بينها الاستعمار، الاستقلال.

أما عن الهويةوعند البحث عن المفهوم الاصطلاحي لها نصطدم بمعرفة أنها تجمعمتناقضاتعدة بين ما هو محسوس و ما هو مجرد :«**إنها واحد يعبر عن الأنا، متعدد يمثل الجماعة تمتلك قدرة فائقة في التوفيق بين المتماثلات والمختلفات، وهي أساس الذات في كونهاما يصمد من الإنسان عبر الزمن إذ تلازمه مكونة شخصيته ومحددة معالمه بشكل ثابت، أي ما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين**»[5]أي إحساسالأنا بنفسها وبالتفرد بخصائص مميزة عن غيرها من بني البشر التي لا تنتهيإلا بنهايتها.

وبعدمعالجة وتقصي أثرها وتجليها في الشخصيات الروائية في رواية رصيف الأزهار و رواية ذاكرة الجسد نجد أنّكلاّ الروايتينصورت المجتمع الجزائري الذي له هويته الثقافية المتفردة والعريقة التي حاول الاستعمار الفرنسي القضاء عليها، فشخصية خالد بن طوبال في رواية رصيف الأزهار مثلت صورة الجزائري الممزق لتثقفه

[5]ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، دولة الكويت،دط، 2013،ص15.

بالثقافة الفرنسية، فهيحاولت التعريف بمجتمعها وثقافته مقدمة أوجه الاختلاف بين الثقافتين العربية والغربية، وقد تجلى في العديد من الأحداث تمسك هذه الشخصية بمورثها الثقافي، بينما في رواية ذاكرة الجسد ألفينا شخصية بن طوبالتمثل صورة الجزائري الذي أصيب بالخيبة من الأوضاع التي آل إليها الوطن.

في حين وجدنا أنّ الدين في رصيف الأزهار قطعة أساسية و تجلى ذلك من خلال تعبير شخصية خالد بن طوبال بمعتقده صراحة، وهو نفس الأمر مع شخصية خالد بن طوبال في ذاكرة الجسد، فرغم عدم التزامهما بتعاليم الدين حرفيا إلاّ أنّهم متمسكون به مدافعون عنه، فالإيمان في نظرهم ملجأ الإنسان كلما ضاقت به دروب الحياة، غير أنّ الملاحظ أن أحلام مستغانمي أقحمت الدين ومزجته بالكثير من الأحداث أكثر من مالك حداد، فأحلام اعتمدت على القصص القرآني والأحاديث النبوية وركزت كثيرا على الجانب الروحي حيث أن الصوم مثلا كان بالنسبة لشخصياتها رابطة بينها وبين بلدها.

إنّ اعتزاز خالد بن طوبال باللغة العربية في رصيف الأزهار كان جليا، من خلال الحوار الذي دار بينه وبين نيقول ابنة صديقه، وكذلك في تساؤله الذي لم يجد له جوابا والمتمثل في حذف كل ماله علاقة باللغة العربية من المناهج الدراسية

هذه اللغة آثرت أحلام مستغانمي أن تحتفي بها منذ الصفحة الأولى عند اهدائها هذا العمل لروح مالك حداد، وكذلك في اللغة الشعرية المكثفة والتي كانت تدور بين شخصيتي خالد وحياة.

وفي ختام هذا البحث العلمي استخلصنا جملة من النتائج تتمثل في :

- حاولنا إسقاطمفهوم الهويةعلى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية والمكتوب بالعربية، حيث وجدنا أنّ اللغة ما هي إلاّ أداة تعبير لا أكثر وأن كل من الأدب الجزائري المكتوب بالعربية أو الفرنسية يشتركان في الاهتمام بقضايا الوطن والدفاع عنه.
- يعد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ظاهرة أدبية لها خصوصيتها، بسبب الاحتلال الفرنسي وسياسيته القاضية بتعميم وتعليم اللغة الفرنسية بدل اللغة العربية
- لا يمكن إثبات أو نفي قومية أدب ما بسبب اللغة التي يكتب بها، وهذا ما لاحظناه في رواية رصيف الأزهار، فرغم اللغة الفرنسية التي فرضتها الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر، إلاّ أن الكاتب انطلق من واقعه محاولا معالجة قضايا أمته.
- يمثل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أو العربية وجهتين لعملة واحدة، فكلاهما يمثّل صوت الشعب بكل أطيافه، ويأخذ على عاتقه الواقع المزري. وكذا المواكبة لآمال وتطلعات الفرد الجزائري، ومعايشة أفراحه وآلامه.
- اتخذ مالك حداد اللغة الفرنسية وسيلة للتعريف بقضية وطنه، ومقاومة المحتل بلغة يفهمها، عن طريق مجابهة الفكر بالفكر.
- حافظ مالك حداد على مقومات هويته وكان يحتفي في كل مرة باللغة العربية التي لم يستطع أن يجعل منها أداة لممارسة الكتابة.
- استطاع مالك حداد من خلال رواية رصيف الأزهار، رسم صورة عن الجزائري الذي يعاني الغربة بعيدا عن وطنه.

- عدم تنويع الشخوص داخل رصيف الأزهار، قدّم إضافة للشخصية البطلة من خلال تكثيف الأوصاف الداخلية والخارجية لها.
- الروائي مالك حداد ناقشأزمة الأديب الجزائري المنفي عن لغته.
- شخصية خالد بن طوبال في رصيف الأزهار تعكس المعاناة التي يعاني منها مالك حداد، فالشخصية الروائية مهما كانت خيالية إلا أنها تأخذ من الواقع ولو القليل.
- ما عبّر عنه مالك حداد يعتبر مظهرا آخر من مظاهر حيرته ومعاناته الثقافية جراء احتكاكه بالمجتمع الفرنسي دون الانتماء إليه، ووجود شرعية الانتماء إلى كل ما هو جزائري دون امتلاكه،هذا الأمر عمّق الصراع مع الذات.
- كانت رواية مالك حداد صوتا صادحا في وجه الاستعمار وبلغته التي يفهمها جيدا، فلم يتخل عن هويته الجزائرية ، ويشعر القارئ لنصهأن هذا الكاتب يفكر بالعربية ويكتب بالفرنسية.
- تأثرت أحلام مستغانمي بمالك حداد وقد عبرت عن ذلك صراحة من الصفحة الأولى في الرواية .
- الشخصية في رواية أحلام ومالك حداد كانت مضبوطة ومتناسقة مع الدور الذي تقوم به بإحكام .
- أحلام مستغانمي قدمت نموذجا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وحاولت تقديم صورة عن أبناء الجزائر
- ذاكرة الجسد قدمت صورة عن عادات وثقافة الجزائريين، وكشفت عن اعتزاز الجزائري بانتمائه، وبتضحيته في سبيل وطنه

- أحلام مستغانمي اتخذت من الثورة الجزائرية وقضية الاحتلال، نواة لبناء السرد في رواية ذاكرة الجسد
- استطاعت أحلام مستغانمي جذب القارئ وتشويقه في أحداث الرواية وذلك من خلال بناء شخصيات تنمو مع بعضها.
- نقلت ذاكرة الجسد الواقع الجزائري من خلال شخصية البطل خالد بن طوبال
- الأوصاف والحوارات التي قدمتها أحلام مستغانمي تتناسب مع المستوى الفكري والايديولوجي للشخصيات.
- مزجت أحلام مستغانمي بين الأحداث التاريخية المتمثلة في الثورة الجزائرية وقصة حب جمعت بين شخصيتي حياة وخالد بن طوبال.